حكايات نبوية

١٥

لتسألن عن هذا النّعيم !!

الدكتور
محمد عمر الحاجي

رسوم : إياد عيساوي

الطبعة الأولى

جميع الحقوق محفوظة

يمنع طبع أو إخراج هذا الكتاب أو أي جزء منه بأي شكل من أشكال الطباعة أو النسخ أو التصوير أو الترجمة أو التسجيل المرئي والمسموع أو الاختزان بالحاسبات الالكترونية وغيرها من الحقوق إلا بإذن مكتوب من دار المكتبي بدمشق .

دار المكتبي
للطباعة والنشر والتوزيع
www.almaktabi.com

سورية - دمشق - حلبوني - جادة ابن سينا
ص.ب ٣١٤٢٦ - هاتف : ٢٢٤٨٤٣٣ - فاكس : ٢٢٤٨٤٣٢
e-mail: almaktabi@mail.sy

مَعَ السِّيرةِ النَّبويَّةِ

عَكفَت الطَّالبةُ (لَطيفةُ) على مُطالعةِ مَرجِعٍ مُوثَّقٍ في سيرةِ سَيِّد الأَنامِ عليهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ..

وَكانتْ كلَّما لفتتْ حِكايَةٌ من حكاياتِ السِّيرةِ انتباهَها ، أَخذتْ قَلمَها وسجَّلَتْها عَلى دَفترٍ كانَ مَعَها كَتبتْ عليهِ بالخَطِّ العَريضِ:

(في ظِلالِ السِّيرةِ النَّبويَّةِ)...

وَدارتِ الأيَّامُ... وانتبهتْ (لَطيفة) إلى شَيء لمْ يكنْ بالحُسبانِ! إنَّ الدفترَ كادَ أن يَنتهي... وما زالَ في الملفِّ الشَّيءُ الكَثيرُ..

وَفي مساءِ ذَلكُم النَّهارِ عَرضَتِ الفِكرةَ على مُديرةِ المَعهدِ.. ، فرحَّبتْ بهَا.. وَشجَّعتها على إكمالِ المَشروعِ الجَديدِ...

لكنَّ المديرةَ اشترطتْ عليهَا أن تُساهِمَ في تَعليمِ الطَّالباتِ أمثالَ تِلكَ الحكَاياتِ النَّبويَّةِ..

وَوافقتْ (لطيفةُ) عَلى ذلكَ.. وعَادتْ تَكتبُ وَتَقرأُ ، لكِن كلَّما قَرأتْ أكثر.. اكتَشَفتْ أنَّ الوقتَ يَمرُّ... ولا تَنْتهي الحِكَايَةُ.. بل الحكاياتُ عنِ المُصطَفى ﷺ!

شَيءٌ عَجِيبٌ!!

لكنَّ العجيبَ أكثرَ أنَّها ما قَرأَتْ بَاباً أو زَاويةً من زَوايا السِّيرةِ النَّبويِّةِ ، إلاَّ ورأَتِ الأَنوارَ تَسطعُ وتَسطعُ أكثَر..

في سلمهِ صَلواتُ الله عليهِ... في حَرْبِهِ... ، مَعَ أولادِهِ ، مَعَ زَوجَاتِهِ ، مَعَ أَحفَادِهِ ، مَعَ أَعدائِهِ... مَعَ الحَيواناتِ... في كلِّ حَرَكَةٍ من حَركَاتِهِ تَرى أَمراً عَجَباً!!

هُوَ الرَّحمةُ المُهداةُ.. وهوَ السِّراجُ المُنِيرُ.. وهوَ صَاحبُ الخُلُقِ العَظيمِ.

أَجلْ!

من هُنا فَهِمَتْ (لَطيفةُ) لِمَاذا أَكَّدَ القُرآنُ الكَرِيمُ على أن يكونَ الرَّسولُ ﷺ القُدوةَ والأُسوةَ في كلِّ شَيءٍ:

﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴾.

أَجلْ!

لَقَدْ كان رسولُ الله ﷺ يترجمُ القرآنَ الكريمَ

سُلوكاً في أَرضِ الوَاقعِ ، وذلكَ من خِلاَلِ مَسيرةِ حَياتِه صَلواتُ اللهِ عَليهِ.

وما أجملَ وَصْف الله تَعالى لَهُ:

﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾.

اقتراحٌ رائعٌ.. وَجَميلٌ

وَذاتَ ليلةٍ دَخلتِ الآنِسةُ (لُبنى) غُرفةَ مَكتبةِ المَعهدِ ، فوَجدتِ الطَّالبةَ (لَطيفة) مُستغرقةً في القراءةِ والكِتَابةِ.

فَتقدَّمت منهَا ، وألقتْ عليهَا التَّحيَّةَ والسَّلامَ ، ثُمَّ سألتَها عن مطالعاتِهَا ، فأخبرتْهَا بما قالَتْهُ للمُديرةِ (لُبابة)...

سَكتَتِ الآنسةُ (لُبنى) قَليلاً وقالتْ: إذَا هيَّأ الله لنَا بعضَ الأَموالِ ، فسنقومُ بطَبعِ ما جمعتهُ في كِتَابٍ ، ثُمَّ نوزِّعه على طَالباتِ وآنساتِ المَعهدِ ،

راجينَ من اللهِ تَعميمَ الفَائدةِ والنَّفعِ للجَميعِ.

وبينَما الحديثُ يَدورُ بين الطَّالبة وآنستِها ، إذ دَخلتِ الآنسةُ (لَبيبة).. ، ولمَّا أطلعتَها الطَّالبةُ على مَا يدورُ بينهمَا ، قَالتِ الآنسةُ (لَبيبة): وأنَا لَديَّ اقتِرَاحٌ آخرُ ، وأَرجُو أن تنفِّذيهِ يا لَطيفة.

هَزَّت (لطيفةُ) رأسَها وقَالتْ: كَلامُكِ على الرَّأسِ والعَين ، وأنتِ لكِ الفضلُ عليَّ وعلى الطَّالباتِ... ونسألُ اللهَ لكِ حسنَ الجَزاءِ...

فَقالتِ الآنِسةُ: إنَّ اقتراحِي يَدورُ حولَ تَصنيفِ الكِتابِ وتهذيبهِ وَتبويبهِ.

فمَثلاً: نَضَعُ الحِكَاياتِ التي تَدورُ حَولَ صِفاتِ النَّبيِّ ﷺ الخَلقيَّة في البَابِ الأوَّلِ.

ثُمَّ فِي البابِ الثَّاني نجمعُ الحكَايات التي تَدورُ حولَ صِفَاتِ رَسولِ اللهِ الخُلقيَّةِ.

ثُمَّ التي تَدورُ حَولَ آدابهِ السُّلوكيَّةِ.

ثُمَّ ما يدورُ حَولَ عِبَاداتِهِ ، ثُمَّ غَزَواتِهِ وَسَراياهُ ، ثُمَّ مَعاملاتِه و.. ، وهَكَذَا..

هَزَّت الآنسةُ (لُبنى) رأسَها.. وقَالتْ: جَزَى الله كلَّ خيرٍ من أطلقَ عليكِ اسمَ (لَبيبة).. فحقاً إنَّكِ ذكيَّة ونبيهَة ولبيبَة..

ولمَّا نُقلَ الخَبرُ إلى مُديرةِ المَعهدِ؛ تَحمَّسَتْ للمشروعِ الخَيريِّ.

وهوَ طباعةُ كِتَاب الطَّالبةِ (لَطيفة) وتَحتَ عُنوان: (في ظِلالِ السِّيرةِ النَّبويَّةِ) ، وذلكَ ليعمَّ النَّفعُ والخَيْرُ... وَتطَّلعَ الطَّالباتُ والآنساتُ والأمَّهاتُ على ما في السِّيرةِ من أحداثٍ وحكَاياتٍ...

ثُمَّ أَردفتِ الآنسةُ (لَبيبةُ) القولَ: ونحنُ جَميعاً يا لَطِيفةُ على استعدَادٍ تامّ لكلِّ ما تَحتاجينهُ من عونٍ ومُساعدةٍ واستفسَاراتٍ..

إنَّه السرُّ العجيبُ!!

وَيوماً بعدَ يومٍ ، أخذَ نجمُ (لَطيفة) يَسطعُ أكثرَ فأكثرَ ، حيثُ أصبحَ عَملُها في خِدْمةِ سِيرةِ رَسولِ الله ﷺ الشّغلَ الشَّاغلَ لأهلِ البَلدةِ.. ، لكنْ يا ترَى ما هوَ السِّرُّ في ذلكَ؟

تَساءلتْ أمُّ (لحاظ): مَا سِرّ هَذا التَّوفيقِ الذي لازمَ (لَطيفة)؟

ولمَّا لمْ تجدْ جَواباً عن ذلكَ ، رفعتْ سَمَّاعةَ الهَاتفِ وأدارتِ القرْصَ ، ثُمَّ انتظَرتْ قَليلاً.. ، ولمَّا سمعتْ صَوتَ الشَّيخِ عُثمان يقولُ: ألو.. نَعم أَنا الشَّيخُ (عُثمان) ماذا تُريدُون؟

قَالتْ أمّ لحاظ: سَيِّدي الشَّيخ! لديَّ استفسارٌ صَغيرٌ.. فهلْ يَسمَح وَقتكَ لذلكَ؟

قَالَ الشَّيخُ: عَلى الرَّحبِ والسَّعةِ ، فَنحنُ خَدمٌ لعبادِ اللهِ جَميعاً.

فَقالتْ: عَلمتَ بالتَّوفيق والسَّدادِ الذي اختصتْ بِهِ (لَطيفة) ولعلَّ في ذلكَ سِرّ ما ، فَهلاّ ذكرتَ لي ذلكَ السِّرّ؟!

فَقالَ الشَّيخُ: هناكَ عدَّةُ أسبابٍ ، منهَا:

١ ـ أَنَّ اللهَ تعَالى يَصطفِي من خَلقِهِ أُناساً ، فيقذفُ في أَفكارِهِم وقلوبِهم أُموراً ، تجعلُ ذكرهُم في الدُّنيا والآخرَةِ يطيرُ في الآفاقِ...

٢ ـ أَنَّ ذلكَ التَّوفيقَ نَابعٌ من اهْتِمامِ (لَطيفة) بسيرةِ الحَبيب محمَّدٍ ﷺ ، وقدْ وردَ أَنَّ النَّبيَّ قَالَ: «مَن فرحَ بِنَا ، فَرحنَا بهِ».

٣ ـ أَنَّ والدَ لَطيفة حدَّثني في المَسجدِ الكَبيرِ بِمَا يَلي:

لَقدْ مَرِضَتْ والدتُها مَرضاً أَقعدهَا في فِراشِهَا

زهاءَ خمس سنواتٍ ، وكانتْ (لَطيفةُ) مُلازِمةً لها ، تُنظّفهَا وتغسِّلها ، وَتزيلُ القَاذوراتَ من حولِهَا ، وَتطعمُها وَتَسقيهَا بِيديهَا ، وَتنامُ إلى جِوارِ قَدميهَا...

وكانتْ بذلكَ تَبتغِي وَجهَ الله عزَّ وجلَّ. ثُمَّ بَكَى الوالدُ.. وَقَالَ: والله لَقدْ رأيتُها في كَثيرٍ من الأَحيانِ تقبّل يدَ والدتِها.. وهيَ تقولُ لهَا: هل أَنتِ راضيةٌ عنِّي يَا أمَّاه؟!

فلقدْ عَلمتُ بأنَّ رِضَا الله من رِضَا الوَالدينِ..

ولمَّا حضَرت أمَّها الوَفاةُ ، كَانَ آخرَ كَلامهَا تمتمتُها بالشَّهادتينِ ، والدُّعاء لابنتهَا لَطيفة بالتَّوفيقِ والسَّدادِ...

أَجلْ يا ابنتي! - تَابعَ الشَّيخُ قَوله - فَإذَا جُمعتْ هَذهِ البَركاتُ فوقَ بعضهَا.. عَلمنَا السِّرَّ وَراءَ تَوفيقِ الله لأختِنَا (لَطيفَة)....

وَعِندئذٍ علمتْ أمّ لحاظ مَا هُو السِّرّ، وَتَمتمتْ بِكَلماتِ القُرآنِ الكَريمِ، والتي تَتحدَّثُ عن اصطِفاءِ الله لمريمَ عليهَا السَّلامُ وَتَفضيلِها حتَّى على كثيرٍ من الذُّكورِ..

ذَلكَ الفَضلُ مِنَ اللهِ

أيَّامٌ وأسَابيعُ تَمضي.. وَبجهودٍ مُضنيةٍ، أكملتْ (لَطيفةُ) مشروعَها، وقَدَّمتْ لِلمَعهدِ كِتَاباً مُبوّباً مُفَهْرَساً، وَشاءَ الله أن يُطبعَ الكِتابُ على نفقةِ وَاحدٍ منَ المُحسنينَ، ثُمَّ وُزِّعَ هديةً على الطَّالباتِ والآنساتِ.

لكنَّ مديرةَ المَعهدِ اقترحَتْ أنْ تُكرِّم (لَطيفة) أمامَ النَّاس، لتكونَ أُسوَةً وأنموذجاً يُحتَذَى...

وَفي مَساءِ يَوم الجُمعَةِ أَقامَ المَعهَدُ حَفلةَ تَكْرِيمٍ، وإنْشَادٍ... وإرشَادٍ.. وَحلوياتٍ وَزَغاريدَ.

وَفي النِّهايَةِ قَدَّمت (لطيفةُ) مُوجَزاً عن جُهودِهَا.. ثُمَّ خَتَمتْ كَلِمتَها بِلَقطةٍ من حَيَاةِ رَسولِ اللهِ ﷺ.

«ما أَخرجَكُما الليلة..؟!

فِي صَحيحِ مُسلمٍ عن أَبي هُريرةَ رضيَ اللهُ عَنهُ قالَ:

خَرَجَ رَسولُ الله ﷺ ذاتَ يَومٍ ، أَو لَيلةٍ ، فَإذَا هُوَ بِأَبي بَكرٍ ، وعُمَر.

فَقَالَ: «مَا أَخرَجَكُمَا من بُيوتِكمَا هَذهِ السَّاعةَ؟».

قَالا: الجوعُ يا رسولَ الله.

قَالَ: «وَأنَا ، والذي نَفْسِي بِيَدِهِ ، لَقَدْ أَخرَجَني الذي أَخْرَجَكُمَا ، قُومُوا».

فَقَامُوا مَعهُ ، فَأَتى رَجُلاً من الأَنصار[1] ، فَإِذَا هوَ ليسَ في بَيْتِهِ ، فلمَّا رأتهُ المَرأةُ قَالتْ: مَرحَباً وأَهلاً ، فقالَ لهَا الرَّسُولُ ﷺ: «أَينَ فُلان؟».

قَالتْ: ذَهَبَ يَستَعذِبُ لَنَا من المَاءِ ، إذ جَاءَ الأَنصاريُّ ، فَنظرَ إلى رَسُولِ الله وصَاحبيهِ ، ثُمَّ قَالَ: الحمدُ لله ، مَا أَحدٌ اليومَ أكرَمُ أَضيافاً مِنِّي.

قَالَ: فَانطلقَ فَجَاءهُم بِعِذْقٍ[2] فيه بُسْرٌ ، وتَمرٌ ، ورُطَبٌ ، فقالَ: كُلوا من هذهِ ، وأَخذَ المديَة ، فقالَ لهُ رَسُولُ الله ﷺ: «لا تَذبحْ ذاتَ دَرٍّ»[3].

---

(١) يقول كتّاب السيرة: هو أبو أيوب الأنصاري رضي الله عنه.

(٢) أي: هو بمثابة العنقود من العنب ، لكنه من التمر.

(٣) أي: لا تذبح شاة تحلب.

فذبحَ لَهم ، فأَكلُوا منَ الشَّاةِ ، ومن ذَلكَ العذقِ ، وَشَربُوا.

فَلمَّا أن شَبِعُوا ، ورَووا ، قَالَ رَسولُ الله ﷺ لأَبي بَكرٍ وعُمر:

«والذي نَفسِي بِيَدِهِ لَتُسأَلُنَّ عن هَذا النَّعيمِ يَومَ القِيَامَةِ ، أَخرجَكُم من بيوتِكُم الجُوعُ ، ثُمَّ لمْ تَرجِعُوا حتَّى أصابَكم النَّعيمُ».

فَصلاةُ الله وسَلاَمُه عَليكَ يا أَبا الزَّهْراءِ ، يَا أَحمدُ ، يا رسولَ اللهِ.

وَرَضِيَ اللهُ عن جَميعِ الصَّحابةِ والتَّابِعينَ ، ومَن سَارَ على دَرْبِ التَّوحيدِ ، من لَدُن آدمَ وإلى يَومِ الدِّينِ.

وآخرُ دَعوانا أنِ الحمدُ لله ربِّ العَالمِينَ..